

المؤسسات الدينية الوقفية - الزوايا أنموذجا.

**Wakf Religious Institution (CHARITABLE ENDOWMENT)
Zawiya as an example**

د. زكرياء بن تونس*

جامعة البويرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية- الجزائر، bzak2013@gmail.com

تاريخ النشر: 2018/12/30

تاريخ القبول: 2018/10/22

تاريخ الإرسال: 2018/07/10

الملخص:

من أكبر المؤسسات الاجتماعية التي كان لها الأثر البالغ في الحضارة الإسلامية، ومست جميع جوانب حياة المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والخدماتية... إلخ؛ المؤسسة الوقفية بجميع أنماطها وأشكالها التي تطورت مع مرور الزمان، فقد كان لهذه المؤسسة حضور وشهود حضاري كبير يشهد له القاصي والداني، فكتب التاريخ تزيح بالإنجازات الكبيرة التي أنتجتها مخرجات هذه المؤسسة، حتى اعتبر تطور المسلمين مضطرب مع تطور هذه المؤسسة. وضمن الأشكال التي أنتجتها هذه المؤسسة نجد زوايا العلم التي بدأت أربطة وعيون حارسة على بيضة المسلمين، وانتهت إلى مستوى محاضن العلم والعلماء حارسة لعقيدة الأمة ودينها، كما ساهمت هذه الزوايا والتي كان منطلق وجودها الأوقاف، في مساعدة الناس على المستوى الاجتماعي لحل مشاكلهم، إضافة إلى دورها التعليمي.

* المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: الوقف؛ الحبس؛ الزوايا؛ المؤسسة الدينية.

Abstract :

It is one of the most important social institutions which had a great impact on Islamic civilization. It touched all aspects of Muslims' economic, social, cultural and service life...etc. This Wakf institution has developed many forms and types over time and was omnipresent in the evolution of Islamic civilization. History books registered and witnessed the great achievements made by these institution' outputs. Therefore Muslims' development was considered totally related to the development of this institution.

We can notice among the different aspects of this institution the Zawiya of science that was considered as the protector and the guardian of Muslim community and ended as the center of all sciences and scientists, the guardian of the Oumma's religion and faith. These Zawiyas whose beginning was in the Wakfs have contributed, in addition to its educational role, to help people solving their problems at social level.

Key words: Wakf–habous; Zawiya; charitable endowment; Religious Institution

مقدمة :

إنّ المجتمع المتحضر اليوم هو ذاك المجتمع الذي تسير دوابه مؤسسات حضارية تعمل على رقيّه والانتقال به من حسن إلى أحسن، هذه المؤسسات التي تنشئ من رحمه وتغذى من جهود وأفكار أفرادها، ساعية إلى تنظيم العلاقات وتمتينها بغية الوصول إلى المستوى الحضاري الراقي الذي تتحقق من خلاله كرامة الفرد واستقرار المجتمع.

لقد كان للمؤسسة الدينية دور كبير في توجيه والتأثير على المجتمعات الإنسانية منذ وجودها الأول، على اختلاف طبعا في مردودية هذا التأثير سلبا وإيجابا، فالكثير من المؤسسات الدينية قبل الإسلام كانت تمثل رمز الاستغلال والتربح على ظهور الضعفاء والمساكين، حيث يشهد تاريخ الكثير من الحضارات الإنسانية كيف استغل العديد من رجال الدين المؤسسة الدينية لتحقيق أغراضهم الشخصية توظيفها لتحقيق مآرب مادية لهم ولصاحب السلطان عليهم، أما مع مجيء الإسلام فقد تغير الأمر وأصبحت المؤسسة التي يشرعها الإسلام تمتاز بالاستقلالية الكاملة عن السلطان وعن غيره، فالمؤسسة الدينية الإسلامية تستمد شرعيتها من الله تعالى من خلال وحيه ومن توجيهاته لأنبيائه ورسله.

إن من أعظم المؤسسات الدينية التي كان لها الأثر البالغ في تاريخ الحضارة الإسلامية خاصة والإنسانية عامة؛ مؤسسة الوقف، لما تحتزنه من قوة كامنة ومرونة في صور عطائها جعلتها تستمر وتبقى وتتجدد مع مرور الزمان، وتأخذ وتتكيف مع جميع صور نشر الخير في المجتمع، وقد تمثلت المؤسسة الدينية الوقفية في الكثير من الصور والأشكال كانت كلّها محلّ تقدير مجتمعي لما ساهمت به هذه المؤسسة من خلال أشكالها المختلفة في تطوير المجتمع وترقيته على جميع الأصعدة الحياتية، ومن بين هاته الأشكال التي قامت بدور كبير في حياة المسلمين وتركت الأثر الواضح في تاريخهم؛ زوايا العلم التي مثّلت حصنا منيعا وقلعة راسخة عملت على تثبيت مقومات المجتمع وهويته عبر قرون عدّة .

فهل كانت الزوايا باعتبار نشأتها كأوقاف، مؤسسة دينية لها دورها في حماية الدين والذود عنه؟ وهل تشهد رسالتها التي وجدت من أجلها على حضورها الاجتماعي المؤثر؟ سنحاول من خلال هذه السطور توضيح ذلك، بالإشارة أولا إلى أهمية المؤسسة الدينية الوقفية بصفة عامة (المبحث الأول)، ثمّ نعرّج على دور زوايا العلم بصفة خاصة (المبحث الثاني).

المبحث الأول: المؤسسة الدينية الوقفية :

المؤسسة الدينية الوقفية هي تلكم المؤسسة التي ساهمت في نشر تعاليم الدين والمحافظة عليه في أوساط المجتمع الإسلامي، والتي كان للوقف دور في إنشائها ودعمها بما تحتاجه لتقوم بالدور الذي وجدت من أجله، ولأنّها تلبست بلبوس الوقف فقد أخذت قوته وارتبط استمرار عطائها باستمراره، وقد تجلت المؤسسة الدينية الوقفية في العديد من الأشكال والصور ولا مست الكثير من مجالات التأثير التي يعايشها أفراد المجتمع ونقصد بشكل أدق الجانب التعبدي والروحي والعلمي والثقافي وغيرها من المجالات.

المطلب الأول: مفهوم المؤسسة الدينية الوقفية :

يستلزم الحديث عن المؤسسة الدينية الوقفية الحديث عن الأصل الذي أوجدها وسمح بظهورها إلى الوجود ونعني بذلك الوقف، هذه العبارة التي بدأت شعيرة يتقرب فيها إلى الله تعالى وأصبحت اليوم تشكل مؤسسة حضارية بكل المعايير بسبب تأثيرها في جميع مناحي الحياة الاجتماعية التي ينتظم بها المجتمع اليوم .

لقد حظيت الأوقاف باهتمام المسلمين في شتى بقاعهم ومختلف ديارهم، لأنّ مصادرها المستحدثة لا تنقطع ومواردها المتعاقبة لا تتوقف... فالوقف هو الصدقة الجارية التي يطمح إلى ثوابها كل مسلم صادق الإيمان، ليحصل مثوبتها بعد مماته، عندما تنطوي صفحة الحياة بما لها وما عليها، وتنقطع بالإنسان السبل، وينتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة⁽¹⁾.

الفرع الأول: تعريفها : تعريف المؤسسة الدينية الوقفية ينطلق لزوما من تعريف الوقف، وما دام الوقف شعيرة إسلامية فإنّ المنهجية العلمية تستدعي الوقوف على تعريفه الاصطلاحي عند فقهاء الشريعة الإسلامية، والحقيقة أنّ الفقهاء مختلفون فيما بينهم حول المعنى الاصطلاحي للوقف، وذلك راجع إلى اختلافهم في حقيقته وتحديد طبيعته وماهيته، وكذا محاولة كل مذهبٍ إضفاء شروطه المذهبية للوقف في تعريفها له، على أنّنا يمكن أن نحصر هذا الاختلاف في أربعة مذاهب هي :

المذهب الأول : للإمام أبي حنيفة .

الوقف: حبس العين على ملك الواقف والتصدق بمنفعتها على جهة من جهات البرّ في الحال أو في المال.

المذهب الثاني : للمالكية.

الوقف: حبس العين عن التصرفات التمليلية مع بقائها على ملك الواقف والتبرّع اللازم بريعتها على جهة من جهات البرّ.

المذهب الثالث : لأبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وأحد قولي الشافعي وابن حنبل.

الوقف: حبس العين على حكم ملك الله تعالى والتصدق بالمنفعة على جهة من جهات البرّ ابتداء وانتهاء.

المذهب الرابع : القول الثاني للإمامين الشافعي وابن حنبل .

الوقف: حبس المال عن التصرف فيه والتصدق بالمنفعة مع انتقال ملكية العين الموقوفة إلى الموقوف عليهم ملكا لا يبيح لهم التصرف المطلق فيها⁽²⁾.

وعلى هذا تكون المؤسسة الدينية الوقفية هي تلكم الصورة الواقعية العملية التي ينجلي من خلالها الوقف ويظهر عبرها أثاره التي وجد من أجل تحقيقها، متمثل في سبل الخير التي تعمّ المجتمع ويستفيد منها الأفراد.

الفرع الثاني: دليل مشروعيتها:

دليل مشروعية المؤسسة الدينية الوقفية هو بالأساس دليل مشروعية الوقف ابتداء، ذلك لأنّه الأصل والمؤسسة فرع عنه، فالمؤسسة الدينية الوقفية تستمد مشروعيتها من مشروعية الوقف، ويقصد بمشروعية الوقف؛ صِحَّتُهُ وإقرار الشريعة له، وقد اتفق جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة والحنفية على جواز الوقف واستدلوا على ذلك من القرآن والسنة وأفعال الصحابة رضوان الله عليهم.

يقول الإمام الباقي (ت 494هـ): "... ومن جهة السنة ما روى نافع عن بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب أصاب بخير أرضا، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منه، فكيف تأمرني به، قال: **إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا**. فتصدق عمر؛ أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث، بل في الفقراء والأقربين والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل، لا جناح على منوَلِهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يَطْعَمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ بِهِ⁽³⁾. ودليلنا من جهة المعنى أنه تحبّس عقار على وجه الثَّرة، فلم يفتقر إلى وصية ولا حكم حاكم، كالمسجد والمقبرة"⁽⁴⁾.

"والوقف مندوب إليه، من أعظم القربات وأبواب البرِّ، وهو فعل خير وإحسان، والله يحب المحسنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢١٧﴾" ⁽⁵⁾، والأحباس سُنَّةٌ قائمة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى يومنا هذا، وهو ما يؤكده حديث بن عمر رضي الله عنهما سالف الذكر، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم: [من احتبسَ فَرَسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ، وَوَرَثَهُ، وَبَوْلَهُ في ميزانه يوم القيامة] ⁽⁶⁾ ... ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له مقدرة على الحبس إلا وحبس ...، حَبَسُوا دُورًا وَحَوَائِطَ"⁽⁷⁾.

وقال الإمام المنوفي "والأصل فيه قوله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾" ⁽⁸⁾، لما سمع الآية أبو طلحة بادر إلى وقف أحب أمواله بيرحاء -حديقة مشهورة -، وحمل العلماء الصدقة الجارية على الوقف دون نحو الوصية بالمنافع المباحة لندرتها، ووقف عمر رضي الله عنه أرضا أصابها بخير...، وهو أول وَقْفٍ وَقِفَ في الإسلام، وقيل بل وقفه صلى الله عليه وسلم أموال مخيريق (اليهودي) التي أوصى بها له في السنة الثالثة...

وأشار الإمام الشافعي رضي الله عنه إلى أن هذا الوقف المعروف؛ حقيقة شرعية لم تعرفه الجاهلية، وعن أبي يوسف (صاحب أبي حنيفة) أنه لما سمع خبر عمر أنه لا يباع أصلها ... رجع عن قول أبي حنيفة رضي الله عنه ببيع الوقف وقال: لو سمعه لقال به ⁽⁹⁾.

وقد ذكر الإمام بن قدامة (ت 630هـ) إجماع الصحابة على صِحَّة الوقف فقال: "وقال جابر: لم يكن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف، وهذا إجماع منهم، فإن الذي قدر منهم على الوقف وقف، واشتهر ذلك فلم ينكره أحد فكان إجماعا، ولأنه إزالة ملك يلزم بالوصية، فإذا أُنجزه حال الحياة لزم من غير حكم كالعتق" ⁽¹⁰⁾.

وقال الإمام الشوكاني (ت 1250هـ) "قال في الفتح: وحديث عمر (الذي رواه بن عمر) هذا أصل في مشروعية الوقف، وقد رواه أحمد عن بن عمر قال: [أَوَّلُ صَدَقَةٍ أَيْ مَوْقُوفَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ صَدَقَةُ عُمَرَ] ⁽¹¹⁾، وقد نَصَّتْ المادة الأولى من مجلة الأحكام العدلية على أن "[مشروعية الوقف ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع]" ⁽¹²⁾.

المطلب الثاني: مكانة المؤسسة الدينية الوقفية.

الحديث عن مكانة المؤسسة الدينية الوقفية يعني بالضرورة ذكر الدور والأثر الذي تحدثه هذه المؤسسة من خلال تجلياتها الواقعية في جميع مجالات الحياة، فكما هو معلوم فإنَّ المرونة التي تميَّز الوقف تجعله حاضرا في كل ما يمكن أن يوفر الخير للمجتمع وعبر مختلف الأشكال المتوفرة (الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، العلمية، ... إلخ).

الفرع الأول: الآثار الاجتماعية للوقف:

إن المتابعة الموضوعية للأوقاف الإسلامية، وما نتج عنها من خدمات اجتماعية متعددة يشير إلى أنها تسعى لتحقيق مبدأ التكافل والتكامل الاجتماعي الذي يُثبِتُ بوضوح أنها أبرز صيغة من صيغ التنمية الاجتماعية ⁽¹³⁾، ويعتبر التكافل الاجتماعي ممثلا بتكافل الأفراد بعضهم لبعض؛ صميم الإسلام و جوهر الدين، حتى إنَّ مجرد إهماله أو إهداره هو في نظر

الإسلام تكذيب لرسالته⁽¹⁴⁾. وقال صلى الله عليه وسلم [مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ زَادَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ]⁽¹⁵⁾.

لقد سعى الإسلام إلى تحقيق هذا التكافل من منطلق تحقيق الاستقرار الاجتماعي الذي هو مُجَسَّدٌ للمقاصد الشرعية التي جاء الإسلام من أجلها، هذا التكافل الذي لا تغطي فيه مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع، ولا تذوب فيه مصلحة الفرد في مصلحة المجتمع، فتكافل القوي مع الضعيف والغني مع الفقير، من غير إضعاف للأول أو إفقاراً للثاني؛ هو الكفيل بإحداث التقارب بين الفئات المجتمعية وبالتالي إحداث نوع من التوازن الذي تشكو الكثير من الدول اليوم وحتى الغنية منها من صعوبة تحقيقه⁽¹⁶⁾، بل تعاني من نقيضه مُتَمَثِّلاً في التفاوت الطبقي الذي يُنْذِرُ بخراب نسيج مجتمعاتها، وواقع الناس اليوم في هذه البلدان التي توصف بالغنية خير شاهد على ذلك، وهو الأمر الذي تُنْبِئُهُ إليه العديد من آيات الذكر الحكيم⁽¹⁷⁾ ووصايا الرسول الأمين. إن من أهم أدوار الوقف الاجتماعي هو العمل على تقليل الفروق بين الثروات والطبقات، فلا حرمان لطبقة لحساب طبقة أخرى، ولا تحكم لطبقة في أرزاق أخرى، وإنما تعاون وتآلف بين الناس⁽¹⁸⁾.

لقد كان من الأمور التي بَرَزَ فيها الوقف وانتشر أثره بسببها انتشارا واسعا؛ عناية الواقفين بتوفير خدمات اجتماعية لقطاع عريض من المجتمع، هذه الخدمات تتمثل في صُور الوقف التي تُحَقِّق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي، وقد عُرِفَت هذه الصُور في الحضارة الإسلامية بوقف الربط والخوانق (بيوت باللغة الفارسية) والزوايا، ووقف السقاي والمطاعم والآبار والمستشفيات... إلخ⁽¹⁹⁾، وكذا الوقف على المحتاجين والمساكين والفقراء وكِبَارِ السِّنِّ والمعوزين من خلال مشاريع ذات طابع اجتماعي كالتزويج وإيجاد فرص للعمل وقضاء الدين ورعاية أسِرِّ الغائبين، وكلها صور جَسَّدَت هذا التكافل الاجتماعي وأفصَحَت عن الوجه الحضاري الراقى للإسلام والمسلمين.

إنّ المجتمعات الإسلامية على ما هي عليه اليوم من تَخَبُّطٍ في المشكلات الحياتية، وفي المقابل نقص وقلة في الإمكانيات؛ يستوجب عليها السعي إلى الخروج من هذه الوضعية الحائلة دون التطور والرقى، ولا يتأتّى ذلك إلّا من خلال جهد جماعي مدروس ومُنَظَّم بشكل مؤسسي يضمن ترشيد الجهود وتوجيهها لمصلحة أفراد الأمة بأكملها، تحقيقاً لمقصد التكافل الاجتماعي المطلوب شرعاً وعرفاً، ووفق رؤية استراتيجية بعيدة المدى تتجاوز النظرات الفردية والجزئية لحل مشكلات الأمة والعوائق التي تُهدِّدُهَا، والوقف بما يملكه من قدرات ذاتية مستعد لأن يكون الخيار الأمثل لإنجاز هذا التحدي الكبير.

بهذا نستطيع أن نقول بأنّ الأوقاف قد قامت بدور كبير في مجال الضمان الاجتماعي لسائر الطبقات المحرومة من أسباب الحياة من المديونين والمأسورين والأرامل والمطلقات والمرضى وأرباب العاهات، وقامت بدور أساسي في التوسعة على هذه الأصناف وخصوصاً في المناسبات الدينية مثل شهر رمضان والأعياد... إلخ... ولانبالغ إذا قلنا أنّ الأوقاف قامت بالدور الذي تقوم به وزارة الشؤون الاجتماعية في العصر الحديث⁽²⁰⁾.

الفرع الثاني: الآثار الاقتصادية للوقف:

المجال الاقتصادي لا يخلو من آثار الأوقاف في تدعيمه وتثبيتته كعامل مهم من عوامل استقرار المجتمع و يتجسد ذلك من خلال:

أولاً: عدم تفتيت الثروة :

إذ ينهض نظام الوقف في أحد مقاصد تشريعه؛ بِدَرءِ مخاطر تفتيت الثروات والإبقاء على الكيانات الاقتصادية القوية، فالوقف بما يَعْنِيهِ من قَطْعِ التَصَرُّفِ في رقبة المال الموقوف، ومن حيث كونه إسقاط الملك بلا تملك لأحد إلّا لله تعالى على وجه القربى، فإنه لا يجوز بيع عَيْنِهِ أو ميراثها أو هِبَتُهَا أو إجراء أي تصرف ناقل للملكية عليها إلا بغرض استبدال ما يَتَلَفُ منها بما يماثلها من الأعيان الجديدة الصالحة للاستعمال والاستغلال.

ثانيا: إعادة توزيع الدخل القومي:

ويأتي الوقف من القادرين وأصحاب الثروات على جهات النفع العام والفقراء والمساكين، لينهض بعملية إعادة توزيع الدخل القومي لصالح هذه الجهات، فالجهة ذات النفع العام من مساجد ومستشفيات ودور العلم والتأهيل وغيرها، وقد ضَمَنَ لها الوقف مصدر تمويل دائم، حين تُستَمرَّ وبكفاءة في أداء رسالتها وخدماتها للناس دون مقابل؛ فإن الخدمة والنفع المجاني الذي تقدمه لكل فرد إنما هو حقيقته وواقع أمره معادل لقدر من النقود كان المستفيد من الخدمة سوف يدفعه عند طلبه إيّاها من جهة أخرى غير موقوف عليها، لو لم تكن الجهة الموقوف عليها موجودة، وهو بتوفيره لثمن الخدمة أو المنفعة المجانية كأنه قد حصل على هذا الثمن من ريع الوقف (وهو مدلول إعادة توزيع دخل الفرد).

ثالثا: حجم الإنتاج القومي:

من المعلوم أنّ ريع الوقف سواء كان أهليا أو خيريا يتوجه إلى مستحقين يتزايد لديهم الميل الحدي للاستهلاك، ومن المعلوم كذلك أن الاستهلاك هو أحد مكونات الطلب الفعلي، ومن المعلوم أيضا أن حجم الإنتاج يتوقف على مستوى الطلب الفعلي أي على الإنفاق الكلي على سلع الاستهلاك وأموال الاستثمار، والوقف إذا أُحْكِمَ تنظيمه يمكن أن يكون جزءا هائلا من مكونات الطلب الفعلي لأنه يؤدي إلى زيادة طلب مستحقيه على سلع الاستهلاك وربما سلع الاستثمار (الإنتاج) كذلك.

رابعا: تشجيع الاستثمار:

لقد كان الوقف الخيري وما يزال يؤدي دورا فاعلا في إقامة وصيانة البنية الأساسية أو التحتية للمجتمع (طرق، جسور، قناطير، دور علم وعبادة... إلخ) أو ما يعرف برأس المال الاجتماعي التي لا وجود للاستثمار بدونها، والتي تكون عامل جذب للاستثمار مع وجودها⁽²¹⁾.

الفرع الثالث: الآثار الخدمية للوقف:

إن المكانة الكبيرة للخدمات العامة في تحقيق مجتمعات القوة والقدرة من خلال التنمية الشاملة المستدامة التي هي أهداف المجتمعات على اختلافها؛ فَرَضَتْ على هذه الدول الاستعانة بمؤسسات تعينها على القيام بدورها بنجاح، فأرنا الدول الغربية المتقدمة تحذو حذو الدولة الإسلامية الزاهرة في تشجيع المؤسسات الوقفية للاضطلاع بهذه المهمة الحيوية⁽²²⁾، ويمكن أن نَلَحَظَ الآثار الخدمية للأوقاف في تجليات مجتمعية كثيرة نذكر منها:

1) المجال الديني والدعوي: من خلال بناء المساجد ودعمها والتي تمثل السبيل الأمثل لتحقيق التنمية الدينية لجميع أفراد المجتمع وتأكيد هُويَّته الإسلامية والمحافظة عليها، فلقد كان للوقف الإسلامي دور الكبير في خدمة الدعوة الإسلامية ورعاية العلم وطلابه وحفظ كرامة العلماء، واحتضان المؤسسات الحضارية والإنسانية كالمساجد ودور العلم والمستشفيات، ومواساة الأرامل والفقراء واليتامى والمحتاجين⁽²³⁾.

2) المجال التعليمي: من خلال الاهتمام بالعلم والتعليم، فكانت أوقاف المدارس والجامعات التي لا تخلو منها حواضر الإسلام في طول العالم الإسلامي كمراكز علمية شهيرة دليلاً على ذلك، حتى عُدَّت وثيقة (حُجَّةُ) الوقف لائحة أساسية للمؤسسة التعليمية والتي تَضُمُّ الأسس التربوية للتعليم، والشروط التي يجب توفرها في القائمين على التدريس ومواعيد الدراسة، وما إلى ذلك من التنظيمات الإدارية والمالية، بالإضافة إلى ذلك وبالترتيب يأتي إنشاء المكتبات والإيقاف عليها من الكتب والأموال، وهو أمر سبق مرحلة إنشاء المدارس الجامعية والإيقاف عليها، كما مَوَّلَت الأوقاف أشهر المؤلفات الطبية ككتاب الكليات في الطب لابن رشد الذي تُرجم وأصبح مُعْتَمَدَ الطب في أوروبا، وكذا كتاب الحاوي في الطب للرازي، والقانون لابن سينا... إلخ، إلى جانب هذا قامت أوقاف أخرى متخصصة في تعزيز العلم والخدمة التعليمية؛ منها أوقاف لسكنى الطلبة، وأوقاف للإنفاق على رواتب المدرسين،

وأوقاف لتقدم المنح الدراسية للتلاميذ، وأخرى للدراسات البحثية والأنشطة الأكاديمية في مختلف التخصصات كالفقه والطب والكيمياء ... إلى غير ذلك مما له مساهمة في دفع مسيرة التعليم والبحث العلمي في المجتمع، كما كانت المؤسسة الوقفية توفر الكثير من الخدمات لطلاب العلم، من خلال توفير خدمات تعليمية للطلاب غير القادرين، أو عن طريق برامج تعليمية متعددة غير نظامية، كما وفّرت الكثير من الخدمات الطلابية في مجال الإسكان والغذاء والرعاية الصحية والرياضية والنفسية، ووفّرت ألوانا متعددة من تعليم الكبار في المساجد والمؤسسات وهيكل الإنتاج المختلفة⁽²⁴⁾، ويمكننا الإقرار بعد هذا بأن الحركة العلمية الواسعة التي شهدتها الدولة الإسلامية في تلك المراحل من شرقها إلى غربها راجع فضلها إلى الأوقاف من دون منازع،

3 (المجال الصحي: فقد اهتمت الأوقاف الخيرية برعاية صحة المسلم وتنشئته كإنسان قادر بدنياً وعقلياً على أن يعيش بحرية وكرامة، لذا فقد أوقف أغنياء المسلمين الأحباس الواسعة على إنشاء المستشفيات وكليات الطب التعليمية، فعصّدت أوقافهم مهنة الطب والتمريض، كما أوقفوا بسخاء على تطور الطب والصيدلة والعلوم الأخرى المرتبطة بالطب، وقد عرفت المجمّعات الصحية الموقوفة باسم دور الشفاء، ودور العافية أو البيمارستانات، كما جَهّزوا المستشفيات المتنقلة إلى جانب المستشفيات الثابتة ليتنقلوا بها في بقاع الإمبراطورية الإسلامية من بغداد شرقاً إلى بلاد المغرب والأندلس غرباً، ولم تنس الأوقاف رعاية الأطفال من حيث توفير الرعاية الصحية وبخاصة المعوزين منهم.

4 (مجال البنية الأساسية: حيث ساهمت الأوقاف في تدعيم البنية الأساسية في مجال الخدمات العامة من توفير المياه للرّي والشرب والدواب بجفر الآبار والعيون، وإصلاح الطرقات والمعابر والقناطير والجسور وكل ملاحقها ومستلزماتها⁽²⁵⁾.

المطلب الثالث: نماذج المؤسسة الدينية الوقفية:

تتعدّد النماذج الممثّلة للمؤسسة الدينية الوقفية في المجتمع، وتتخذ العديد من الأشكال والوظائف المتصلة بحاجات الناس وواقعهم، وتعمل على توفير الكثير من الخدمات وفي جميع الميادين كما ذكر ذلك سلفا، وهذا الأمر يُعبّر عن الدور الذي ساهمت به هذه المؤسسات الدينية التي منطلقها وقفي في تطوير المجتمع وازدهاره، فالزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية والمدارس الحرّة في الجزائر (وغيرها من البلدان الإسلامية) قامت بدور عظيم في ترسيخ العقيدة الإسلامية وتقوية الشخصية الوطنية والمحافظة على القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الإسلامية فوقفت في وجه الكفر والإلحاد والإدماج والفرنسية وكل العادات والأخلاق الأجنبية المخالفة لحياتنا الاجتماعية وقيمنا الدينية...⁽²⁶⁾، ولهذا السبب اغتاز المستعمر الفرنسي من وجود هذه المؤسسات الدينية في واقع الناس ومعاشهم والتي لا تكاد تخلو منها المدن والأرياف على حدّ سواء.

الفرع الأول: المسجد:

لقد كان المسجد المؤسسة الأولى التي أنشأها النبي صلى الله عليه وسلّم في مُسْتَهْلَ إقامته لصرح الدولة الإسلامية، فقد كانت هذه المؤسسة الجامعة لجميع الوظائف الأولى التي شرع النبي صلى الله عليه وسلّم من خلالها تنظيم حياة الناس والمجتمع الإسلامي الأول، فقد كانت مجلس للقضاء وفظ النزاعات، وكانت منطلق العلم والتعلّم، وكانت محطّ تسيير بيت مال المسلمين، كما كانت ساحة التدريب واستعداد لمواجهة العدو وصدّه وهكذا، غير أنّ المسجد لا يمكن أن تؤدي رسالته في العبادة والتعليم والإصلاح إلّا أن تقام له الأحباس الكافية للعمارة، وللقائمين بالأذان والإمامة والصيانة، حتى يبقى ويقوم بأداء دوره الريادي، وإلّا فإنّه سيؤول إلى خراب ويتعطّل عن أداء وظيفته... ولا ريب بأنّ الوقف على المسجد حتى يتحقّق له أداء دوره ورسالته؛ هو من أجل أعمال البر والخير؛ لأنّه من عمارة بيوت الله تعالى فينطبق عليه كل ما ورد من الفضل والخير وديمومة الأجر، ما دامت رسالته قائمة⁽²⁷⁾.

الفرع الثاني: الكتاتيب:

العلم شعار خاتم الرسالات، فقد كانت أول آية استُهلَّ بها الوحي وشَهِدَ بها ميلاد حضارة جديدة؛ قوله تعالى "اقرأ"، وقد مثل هذا موقف الإسلام من العلم ومكانته التي يتموضع فيها في مسيرة ازدهار ورفي المجتمع، واهتمام الإسلام بالعلم ألزم الاهتمام بالمؤسسات التي توفره والتي منها كتاتيب العلم وتحفيظ القرآن التي كانت ترصد لأجلها الكثير من الأوقاف، فقد صرف كثير من الواقفين أوقافهم الكثيرة إلى إنشاء الكتاتيب وخصوصا لتعليم الأطفال الفقراء واليتامى، وكانت هذه الكتاتيب تؤمن الغذاء والكساء وأدوات الكتابة للأطفال...⁽²⁸⁾، ولم يتوقف الأمر عند الوقف على الكتاتيب بل تعدّاه إلى ملحقاتها (مساكن الطلبة، مكتبات، إلخ)، فكما كان الوقف على المدارس والمساجد مهما لم للوقف عليها من أهمية لنماء الحركة العلمية في الأمة الإسلامية، فإنّ وقف المساكن للطلاب ورؤاد المشايخ من البلاد المتفرقة لا يقل أهمية عن المسجد والمدرسة... لذلك كان أهل الخير الذين يسهمون في نفع الأمة بالمدارس والمساجد ونحوها يعنون أن يكون مع كل مدرسة سكنا خاصا بطلابها، إتماما للنفع وتحقيقا للمصلحة لأنهم يرون أن ذلك من أهم المرافق التي تحتاج إليها المدرسة⁽²⁹⁾.

الفرع الثالث: الرُّبُط والزوايا:

لقد قامت الرُّبُط والزوايا بدور مهم في تاريخ الحضارات الإسلامية، وكان وجودها في بعض فترات هذا الأخير يمثل الحصن الأخير في كيان الوجود الإسلامي في تلكم البقاع، فقد كانت تمثل قلاع الدين التي يحتمي بها المسلمون أما أعدائهم ومشاريعهم، هذا من حيث التواجد، أمّا من حيث الوظيفة فقد عُرِفَ عن الجوامع والزوايا اختلاط وظيفة المدرسة والزاوية والجامع في ميدان التعليم، فقد كانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أنواعه، وبخاصة الثانوي، وكانت بعض الزوايا عبارة عن مدارس، كما كانت مساكن للطلبة الذين يدرسون، وكان بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى ملحقة بالمساجد،

وكثيرا ما ينص الوقف على تأسيس زاوية وجامع ومدرسة في نفس الوقت، ولذلك فإنه من الصعب تمييز الوظائف التي تؤديها هذه المؤسسات مجتمعة في مجتمع يقوم فيه التعليم قبل كل شيء على الدين، وتلعب فيه المساجد والزوايا الدور الرئيس⁽³⁰⁾، أمّا الرُّبط أو الرباطات فكانت تشبه الزوايا من بعض الوجوه، فهي مثلها في خدمة الدين والمجتمع، ولكن الرباطات كانت تمتاز بأنّها قريبة من مواقع الأعداء، وأنّ تأسيسها بالدرجة الأولى يهدف إلى خدمة الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام مع أداء مهمة العلم أيضا... فكان الطلبة جنودا وعلماء في نفس الوقت... واشتهر من علماء الرباطات أيام الفتح الأول (لوهزان) مصطفى الرماصي وأبو الحسن (أو حسون) العبدلي...⁽³¹⁾.

الفرع الرابع: المكتبات:

لم يكن إنشاء المكتبات بعيدا عن الحركة التي أنتجتها المؤسسات الدينية في أوساط المجتمع، وبخاصة الحركة العلمية والثقافية، ولأنّها بهذه الأهمية فقد نالت حظها من الاهتمام الوقفي، فقد كانت العديد من الأوقاف العلمية متجهة إلى الوقف على المكتبات إن بالأصل (مستقلة عن كيانات أخرى) أو بالتبع (ملحقة بمسجد أو زاوية أو غير ذلك) كتلك المكتبات الملحقة بالمساجد والزوايا والمدارس، والتي كانت مفتوحة للطلبة خصوصا ثم لجميع القراء المسلمين... وكانت الكتب بهذه الخزائن تقل أو تكثر تبعا لأهمية الوقف الذي تتغذى منه وتبعا لأهمية الجامع وأمانة الوكيل وضخامة عدد السكّان في المدينة المعينة، ومن أشهر هذا النوع من المكتبات مكتبة الجامع الكبير بالعاصمة (الزاوية) ومكتبة المدرسة الكتانية التي أنشأها صالح باي بقسنطينة... إلخ، كما أحررت التقارير الفرنسية المكتوبة غداة الاحتلال أنّ أهم المكتبات العامة في قسنطينة كانت في المساجد والزوايا⁽³²⁾.

من خلال ما سبقتظهر أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية، فهو مصدر العيش للزوايا والأضرحة وغيرها من المؤسسات الدينية، كما أنه مصدر الحياة والنمو للمساجد والمدارس والكتاتيب ومعيشة العلماء والطلبة، ومن جهة أخرى لعب الوقف دورا بارزا في الحياة الاجتماعية بتضامن المجتمع وتوزيع ثرواته على فقرائه والعجزة منه، كما أظهر تضامن فئات معينة كالأشراف وأهل الأندلس، وكان الوقف بالإضافة إلى ذلك يلعب دورا في التأثير الديني والسياسي خارج الحدود كإرسال النقود سنويا إلى فقراء مكة والمدينة مع ركب الحج⁽³³⁾.

المبحث الثاني: الدور الحضاري للزوايا:

المطلب الأول: مفهوم الزاوية:

إنّ الوقوف على مفهوم الزوايا التي هي مجال بحثنا في هذا المقال مهم للغاية، ذلك أنّ هناك لغط وغلط أصاب عقول الناس حول المفهوم الصحيح للزوايا من أول نشأتها، وتحديد المفهوم لا يتأتى إلاّ بالإجابة على السؤال التالي: ما هي الزوايا التي نقصد؟

الزوايا في تقديرنا هي هذه المؤسسة الحضارية التي تعدّ قلاعاً حصينة للإسلام، ومعاهد تليدة لعلوم شريعته، حفظت لأمتنا قيمها الروحية والوطنية، وحمّت شعبنا من مخاطر التنصير والتغريب، وحصّنت الأجيال من عوامل المسخ والدوبان، ووقفت سداً منيعاً في وجه مخططات الاحتلال، فالزوايا بيوت القرآن، رسالتها ربّانية، عمادها العلم والمعرفة، ونهجها سلوك الطريق باستقامة واعتدال، بعيداً عن سبيل الانحراف والضلال⁽³⁴⁾.

الفرع الأول: تعريف الزاوية: لقد شمل لفظ الزاوية العديد من المسمّيات، فهي خلوة المتصوّف ومزار مرّيديه، ومربط المجاهد ومكان حراسته، ومجلس العالم مع طلبته، وهذا التعدّد هو الذي جعل للزوايا العديد من الوظائف والأعمال، ولعلّ لفظ الزاوية في الأصل مأخوذ من الانزواء بقصد العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيداً عن دنيا الناس ومشاكلهم اليومية، وهي أيضاً رباط المجاهدين في سبيل الله وحافظ الثغور، إلّا أنّ لفظ الزوايا اليوم يعني

مراكز تحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين الإسلامي والعلم الشرعي ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية، وهي بذلك حصون العقيدة والإيمان وأماكن تحتزن في صناديقها ورفوفها ذخائر التراث الإسلامي بآدابه وسجايه الحميدة وملاحه التاريخية والوطنية... والزاوية في الأصل ركن البناء، أطلقت على المصلى أو المسجد الصغير عند المسلمين في المشرق العربي، على أنّ المصطلح في المغرب الإسلامي أكثر شمولاً من ذلك⁽³⁵⁾، فالزاوية اصطلاحاً يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني وهي تشبه الدير أو المدرسة، يقول دوماس أنّ الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة، وهي بهذا الوصف تشبه كثيراً الدير في العصور الوسطى (بالنسبة للمسيحيين)⁽³⁶⁾.

وقد صدق من عرّف الزاوية بأنها مؤسسة شاملة، فهي مسجد للعبادة ومدرسة للتعليم وملجأ للهاربين ومأوى للغرباء ومركز للفقراء⁽³⁷⁾، فالزاوية كانت مؤسسة كاملة فيها السكن والطعام والملجأ والتعليم والعبادة، وكان بعضها يعتبر مدارس عليا لمواصلة التعليم الذي بدأه الفتيان في الكتاتيب أو المدارس القرآنية، ومن الزوايا ما هو خاص بفئة اجتماعية مثل الأشراف والأندلسيين، والزوايا في الريف تضيف إلى ذلك دورا اجتماعيا هائما، وهو الإصلاح بين الناس وتأمين الطرق ونحو ذلك، وقد عرفنا أنّ أساس الزاوية هو الرباط الذي قام على مبدأ الجهاد ونصرة الدين ورد الأعداء⁽³⁸⁾، ثم ظهر نوع آخر من هذه المعاهد لا هي زاوية ولا هي رباط تعرف في منطقة القبائل بالمعمرة (ثمعمرت) وهي عبارة عن معاهد لتعليم القرآن وحفظه، أو لدراسة العلوم...⁽³⁹⁾.

الفرع الثاني: نشأة الزوايا: لقد نشأت الزوايا إلى أن وصلت إلى ماهي عليه اليوم بشكل متدرج تحت تأثير الحاجة والواقع المحيط، وكانت نتاج إرهابات وتراكمات سلوكية وعلمية وثقافية متتالية، ويذكر الشيخ طه ولي توصيفا وتأصيلا لنشأتها فيقول: الأصل في الزاوية أنّها ناحية في مسجد يجلس عندها أحد العلماء عند إلقاء دروسه على الناس، وكان لكل عالم مكان خاص به يداوم على حضوره فيه، وكان الناس يطلقون على هذا المكان اسم "زاوية"،

فيقولوا هذه زاوية الشيخ الفلاني أي المحلّ الذي اختاره لجلوسه عند إلقاء دروسه على طلبته، فلمّا انتشر التدريس خارج المساجد وأصبح لكل عالم أو أكثر بناء مستقل يحضر فيه الطلاب، اصطلاح الناس على إطلاق اسم الزاوية على هذا البناء⁽⁴⁰⁾.

لقد اختلفت نشأة الزوايا بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي؛ ففي المشرق كما قلنا كانت مرادفة للمصلى والمسجد الصغير، أمّا في المغرب فقد نشأ نظامها بعد القرن الخامس الهجري، وسمّيت في بادئ الأمر بـ "دار الكرامة" كالتّي بناها الخليفة الموحدّي يعقوب المنصور في أواخر القرن 6هـ/12م بمراكش، ثمّ أطلق المرينيون على الزوايا التي بناها في عهدهم 7-8هـ/13-14م اسم "دار الضيف" ومن ذلك الزاوية التي أنشأها السلطان أبو عنان خارج مدينة سلا (مدينة محاذية لمدينة الرباط في المغرب وهي أقدم منها) في منتصف القرن 8هـ/14م... على أنّ مصطلح "الزاوية" ظهر في المغرب حوالي القرن 7هـ/13م مرادفا للرباط، أي الصومعة التي يعيش فيها الولي وسط تلاميذه ومريديه... كما نشأت في الجزائر خلال القرن 9هـ/15م مجموعة من الزوايا، كالزاوية الثعالبية في مدينة الجزائر، وزاوية المالرية بقسنطينة، والزاوية السنوسية في تلمسان وغيرها كثير، وكثُر هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن 10هـ/16م بعد تغيّر الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية في البلاد وبخاصة عند مجيئ العثمانيين⁽⁴¹⁾، بل وقد كان لبعض هذه الزوايا شأن عظيم وصل بها إلى مستوى الممالك كما هو الأمر بالزاوية الدّلائية بالمغرب التي كتب عنها الكثير من المؤرخين، والزاوية السنوسية بليبيا⁽⁴²⁾.

الفرع الثالث: أنواع الزوايا: زوايا القرآن في الجزائر ثلاثة أنواع، تختلف في الشكل وتتفق في الهدف والمضمون وهي زوايا المشايخ، زوايا المرابطين، زوايا الطلبة، وهذا التقسيم ينطبق على الكثير من الدول العربية والإسلامية في عمومها وإن اختلفت المسمّيات.

أولا: زوايا المشايخ:

وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي، وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب طريقة صوفية ويعرف عندنا بشيخ الطريقة الذي يعطي الأوراد (أي الميثاق) وهذا الشيخ له أتباع ومريدون (الإخوان) ... والشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر وصاحب الحلّ والعقد... فإذا مات الشيخ استخلفه أحد أفراد عائلته ابنه أو أخوه، إمّا عن طريق الوصاية أو باختيار أفراد العائلة... فالمنصب وراثي في هذا النوع... ومن أمثلة هذا النوع من الزوايا نجد زاوية الهامل (بوسعادة) زاوية الحملاوي (قسنطينة) زاوية ابن سحنون (اغزار أمقران (بجاية) زاوية الشيخ الحمامي (الأخضرية - البويرة)... إلخ.

ثانيا: زوايا المرابطين:

وهي تختلف عن زوايا المشايخ في بعض الجوانب التنظيمية، فزاوية الشيخ ملكية خاصة، يتصرف فيها صاحبها كيفما شاء، أمّا زاوية المرابطين فهي ملكية جماعية فمواردها محبسة على طلبة العلم فالمرابطون أحفاد المؤسس الأول لا حق لهم في أخذ أي شيء من أموال الزاوية لأنفسهم، بل هي أموال موقوفة على طلبة العلم... كما أنّ زوايا المرابطين ليس لها طريقة صوفية متبعة ولا مريدون (غير طلبة العلم)، ويمكن أن نشبه نظام زوايا المرابطين بنظام لجان المساجد المعمول به حاليا في الجزائر... فهذه الزوايا أسّست من أول يومها للتعليم فيقصد بها أبناء المسلمين لحفظ القرآن الكريم وتجويده وحفظ الأحاديث النبوية الشريفة وتعليم اللغة العربية من نحوٍ وصرف وكذا الفقه والتوحيد... ومن أمثلة هذا النوع؛ زاوية سيدي محمد وعلي والحاج (عزازقة - تيزي وزو)، زاوية سيدي عمرو الشريف (دلس - بومرداس)، زاوية سيدي أحمد أرزقي (سيدي عيش - بجاية)... إلخ.

ثالثا: زوايا الطلبة:

وهي تختلف عن زوايا المشايخ وزوايا المرابطين، فطلبتها يتمتعون بالاستقلالية في تسيير المؤسسة، فلا يتدخل أحد في شؤونهم وشؤون مؤسساتهم، فالطلبة وحدهم المسؤولون عن الزاوية وتدير شؤونها الداخلية والخارجية أدبيا واقتصاديا... فلا تخضع لمربط أو شيخ وحتى الشيخ الذي يعلم فيها... فالجميع يخضع لقانون الزاوية (اللائحة الداخلية أو النظام الداخلي للزاوية... ومن أمثله هذا النوع نجد زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي (عزازقة - تيزي وزو) الذي كان أول من وضع نظرية التسيير الجماعي للمؤسسات التعليمية من طرف الطلاب أنفسهم⁽⁴³⁾.

المطلب الثاني: المساهمة الحضارية للزوايا:

إنّ المنصف لدور الزوايا وأدائها؛ لا بد وأن يعترف بالإضافة النوعية والمساهمة الحضارية التي قدّمتها للمجتمع الإسلامي بصفة عامّة والمجتمع الجزائري بصفة خاصّة، حيث أنّها قامت بجهود كبيرة وفي جوانب عدّة كما أنّها استطاعت أن تترك أثرها وبصمتها بشكل كبير على محورين غاية في الأهمية، محور المحافظة على مقوّمات الأمة ومحور مقارعة وردّ الاستعمار في ميادين الوعي.

الفرع الأول: جوانب المساهمة: مساهمة الزوايا في الوجود الحضاري ماثلة في العديد من الجوانب المهمّة من أبرزها:

أولا: الجانب الروحي:

إنّ التربية الروحية من أهمّ شعب رسالة الزوايا، لأنّ هذه التربية الإيمانية هي التي تغدّي مشاعر الأخوة والمحبة والرحمة، وترسخ قيم التعاون والتكافل والتضامن. التربية الروحية هي التي تجعل المؤمن يحرص على كمال عبادته، ليزداد قربا من الله، ويحظى بمحبّته ويفوز برضوانه، وكمال العبادة وصدقها تتجلّى ثماره في حسن الأخلاق، وفي السلوك الفردي

والجماعي وأتزان القيم والموازن⁽⁴⁴⁾، هذه الوظيفة هي التي ربّت الأجيال على طهارة النفس وصدق المقصد في عبادة الله تعالى والسعي إلى نيل رضاه، وهو مقصد بالغ الأهمية في قوة الأمة وبقائها واستمرارها في الوجود على حدّ قول الشاعر: "...فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا، فالزوايا حافظت على الجانب الروحي وتمسكت بالقيم الدينية والاجتماعية وأصالة الأمة وما تحمل هذه الأصالة من عقيدة وشريعة وثقافة وشخصية لا تقبل الذوبان، وإن جرّدها الاستعمار الفرنسي من الجانب المادي لكنه لم يجردها من الجانب الروحي... فالجانب الروحي هو ينبوع الطاقة الذي لا ينضب والجذوة التي لا تنطفئ والشعاع الذي لا يخبو نوره⁽⁴⁵⁾.

إنّ المساهمة في تطوير الجانب الروحي في أفراد الأمة وتعميقه كان من نصيب الزوايا والخلاوات بشكل كبير، فشواهد التاريخ تشهد بذلك وتؤكد قيمة التأثير والإضافة النوعية والتي كانت بلا منازع من أداء الزوايا، فهذه الأخيرة تولي عناية خاصة للتربية الروحية باعتبارها الوسيلة المثلى للحياة الروحية الحقّة، تغرس في النفوس حبّ الخير وحبّ العمل، وتكفل للفرد والمجتمع معرفة الحقوق والواجبات، ومن ثمارها أنّها تغسل قلوب النّاس من حبّ الدنيا ومن أنانيتهم وحبّ أنفسهم، وتأخذ بأيديهم إلى الله وتحرّهم من العبودية للدنيا، ليعتصموا بالعبودية لله⁽⁴⁶⁾.

ثانيا: الجانب التعليمي:

لقد اهتم الجزائريون بالتعليم وبذلوا من أجله أموالهم، فأنشئوا المدارس والكتاتيب والزوايا التعليمية، فكان هذا المسعى يعبر عن مشروع اجتماعي حضاري يسعى الجميع إلى المساهمة في إنجاحه ويتنافسون من أجل تحقيقه، وقد شهد الباحثون الأجانب على أنّ سكان كل قرية كانوا يتنافسون على أن تكون زاويتهم أجمل الزوايا وأنظفها وأكثرها بياضا واتساعا، وكانوا يكرمون الضيوف ويطعمون الطلبة الغرباء بدون منّ ولا أذى، ويتربعون للزوايا بسخاء دون جبر أو سلطة أو وعيد⁽⁴⁷⁾.

ويظهر الدور الإيجابي للزوايا الريفية في التعليم على الخصوص فقد كانت إلى جانب وظيفتها الدينية؛ معاهد لتعليم الشبان وتنوير العامة... وظاهرة التعليم في الزوايا ليست خاصة بالريف، ففي المدن أيضا كانت بعض الزوايا تقوم بدور إيجابي في نشر التعليم بجميع مستوياته، فالزاوية القشاشية قد تحولت تدريجيا إلى مدرسة عليا أو معهد... ومن الزوايا التي لعبت دورا رئيسا في نشر التعليم في غير العاصمة زاوية الفكون في قسنطينة، وزاوية مازونة ذات الشهرة الواسعة، وزاوية عين الحوت بتلمسان...⁽⁴⁸⁾، ولم يكن مستوى التعليم فيها منحطا كما يعتقد البعض حتى جعله سمة التعليم في الزوايا؛ بل كانت على حدّ قول لوروي بولية توازي المدارس الثانوية في فرنسا في وقته، ولهذا السبب عمدت فرنسا على عرقلة ذلك والوقوف أمامه حاجزا منيعا، فكل الدلائل تدل على أنّ الفرنسيين قد خططوا لعرقلة التعليم في الزوايا ومنافسته ووضع الشروط المضادة له وسحب التلاميذ منه وعدم التوظيف من خريجي الزوايا (مرسوم 18 أكتوبر 1892م)، وقد كانت نتيجة ذلك أن أعلن ألفريد بيل سنة 1908م قوله: يجب أن لا ننزعج من تناقض التعليم في الزوايا، ذلك أنّ المدرسين الرسميين بالمساجد (التنظيم الجديد) قد حلّوا محلّ معلميها (الزاوية) كما حلّت المدارس الابتدائية والتحضيرية الفرنسية محلّ المكاتب (المدارس القرآنية)، إن الزوايا مآلها أن تصبح للعبادة فقط ولزيارة الغرباء والإخوان، وستختفي منها المدرسة الملحقة بها بحكم انقطاع التلاميذ عنها⁽⁴⁹⁾، وهذه العبارة تلخص موقف المستعمر من زوايا العلم والمعرفة.

وفي نفس السياق يمكن الحديث عن اهتمام الزوايا بالمكتبات حيث استطاعت أن تجلب الكتب وأن تستعمل النسخ لحفظ التراث، ومن ذلك زاوية ابن أبي داود بتاسلنت (آقبو) وزاوية الهامل (بوسعادة) وزاوية طولقة (بسكرة) وزاوية قصر البخاري وزاوية أولاد الأكراد (تيارت)... إلخ فقد كوّن أصحاب هذه الزوايا مكتباتهم عبر السنين حتى أصبح بعضها مضرب المثل في الشراء العلمي والمحافظة على التراث⁽⁵⁰⁾.

إن زوايا التعليم كانت عقبة أمام الاستعمار، وجدارا حديديا في وجه التبشير والتنصير والتجنيس، تصدت للغزو العقائدي والفكري والثقافي وكل ما يحمله الاستعمار لبلدنا، لا بالقوة بل بالرفض والاعتزاز بالنفس وكرهية أشياء الاستعمار والنفور منها... فكان أهم ما قامت به الزوايا المحافظة على القرآن الكريم وتحفيظه وحفظه في صدور أبناء المسلمين كتابة ورسمًا وتلاوة وتجويد⁽⁵¹⁾.

ثالثا: الجانب الاجتماعي:

إضافة إلى الدور الروحي والتعليمي الذي كانت تقوم به الزوايا فإنّ التواصل الدائم مع الناس وتوجههم إليها جعلها تقوم بدور اجتماعي لا يقل أهمية عن الأدوار سالفه الذكر، بل ولقد كان هذا الدور ضروريا لاستكمال تلکم الأدوار، فقد كان شيوخ الزوايا يقومون بدفع البلاء النازل على الناس بالوقوف معهم وحلّ مشاكلهم، يقول الشعراي عن دور الزاوية الاجتماعي: [وأعظم طريق إلى دفع البلاء النازل على الناس في حارة أو زاوية مصالحة بعضهم بعضا حتى لا يبقى بينهم شحنة] فقد جعل الزاوية مجتمعا يُقرن إلى الحارة والقرية، وكانت مشيخة الزاوية من المناصب التي تتطلع إليها العيون⁽⁵²⁾، كما أنّ بعض الزوايا كانت متخصصة في استقبال نوع معيّن من الضيوف بنصوص أوقافها، فزاوية مولاي حسن بالعاصمة كانت عبارة عن دار سكنى للعزّاب، وكانت زاوية سيدي أبي عتيقة تستقبل الفقراء والمرضى والعجزة، وكانت زاوية سعيد قدورة مخصصة لاستقبال فقراء العلماء...⁽⁵³⁾.

الفرع الثاني: التصدي للمشروع الاستعماري:

التصدي للمشروع الاستعماري كان من الإنجازات التي تحسب للزوايا، وقد استطاعت هذه الأخيرة أن يكون لها يد في تخريب مشاريعه وأطماعه وذلك من خلال العمل على المحافظة على مقوّمات الأمة وعناصر هويتها التي إن فقدتها فقدت وجودها، وكذا من خلال مقارعة ومجاهدة المستعمر العدو في ميادين الجهاد والرباط، ولأنّها انتهجت هذا المسلك فقد قام المستعمر بمحاربتها من جهات عدّة نذكر منها:

1. هدم بعضها ومصادرة أملاكها وأملاك الباقيات منها، وضَمّ مداخلها إلى أملاك الدولة الفرنسية في المدن أولا ثم في الأرياف لاحقا.
2. إنشاء المدارس الفرنسية الابتدائية في المدن ثم في الأرياف لسحب التلاميذ من الزوايا ونشر التأثير الفرنسي آزاءها من خلال جرّ الجزائريين إلى إدخال أبنائهم في مدارس فرنسية.
3. محاربة كبار المرابطين واستدراجهم بالوظائف والزواج المختلط، وتشجيع الدروشة والتدجيل بدل العلم.
4. منع الزوايا من نشر التعليم العام وفرض برامج ضيقة عليها لا تتعدّى تحفيظ القرآن الكريم دون تفسيره أو تعليم قواعد اللغة وأصول الدين دون فهم⁽⁵⁴⁾.
- لقد عانت الزوايا في المدن من اغتصاب الأوقاف، فاستولى الفرنسيون على بناياتها وحولوها عن أغراضها وهدموا أغلبها... ولكن بعض الزوايا عرفت كيف تواصل مسيرتها رغم التضيق عليها ماليا وتربويا حتى أصبحت محاصرة، كما أنّ بعض الزوايا التعليمية قد ولدت في العهد الاستعماري نفسه مثل زاوية الهامل وزاوية عميش⁽⁵⁵⁾.

أولا: المحافظة على مقوّمات الأمة:

لم يكن قصد المستعمر الفرنسي عند احتلاله الجزائر خافيا، فقد كان يسعى إلى سلخ الأمة الجزائرية عن مقوّمات هويتها العربية والإسلامية، ولقد انتهج في ذلك ومن أجله الكثير من الألاعيب والمكائد، وتماشيا مع سياسة الفرنسة والإدماج حاول أيضا القضاء على معظم مراكز الإشعاع الثقافي التي تتمثل في المدارس والجوامع والزوايا، فحوّل بعضها إلى معاهد للثقافة الفرنسية وسلّم بعضها إلى هيئات تبشيرية مسيحية التي اتخذته مراكز لنشاطها المستهدف هدم عقيدة الجزائريين المسلمين... واستولى الاستعمار على الأوقاف الإسلامية للزوايا التي كانت تقوم بالإتفاق على التعليم والثقافة والشؤون الاجتماعية للمسلمين، وحارب الاحتلال حركة التعليم العربي الحرّ حربا لا هوادة فيها، فوضع شروطا قاسية لإعطاء رخصة التعليم للمعلمين الذين أودوا وسجنوا واضطهدوا... ورغم كل هذا فقد استطاعت

بعض الزوايا البسيطة الباقية أن تنجح في التصدي لسياسة الاحتلال الثقافية، وأن تحافظ على الثقافة العربية الإسلامية⁽⁵⁶⁾، ولما كان منطلق الحملة محاربة لسان القوم، فقد كانت العربية مستهدفة بشكل مباشر من خلال التضييق عليها وعلى تعليمها بكل الوسائل الممكنة، ولما كان من مهام الزوايا المحافظة على الشخصية الجزائرية فقد كان لزاما أن يكون الجهد في المحافظة على لسان الجزائريين من التفرنس هدفاً مُهمّاً تسعى من أجله الزوايا وتعمل جهدها بغية تحصيله، ويمكن القول بأنّ تعليم الزوايا قد نجح نجاحاً كبيراً في تحقيق هذا المقوم الأساس من مقومات الشخصية الجزائرية، والمتمثل في المحافظة على اللغة العربية وتعليم مختلف فنونها من نحوٍ وصرف وبلاغة وأدب ونشرها بين أبناء الجزائر، لا سيما في المناطق الريفية... وباعتبار أنّ اللغة العربية هي لسان حال الدين، فإنّ المحافظة على اللغة هو محافظة على الدين أيضاً، حيث ركّزت الزوايا على تعليم اللغة العربية بهدف تعليم الدين ونشره، وفهم القرآن وما يتصل به من علوم التشريع والأخلاق والعقائد والتفسير والحديث وغير ذلك، وبذلك عملت الزوايا على الإبقاء على مبادئ الشخصية العربية الإسلامية ومقاومة سياسة التنصير، وساهمت في حماية المجتمع من الذوبان في ثقافة المحتلّ وعقيدته⁽⁵⁷⁾.

ثانياً: مقارعة الاستعمار في الميدان:

لم يكن وقوف الزوايا في وجه الاستعمار متوقفاً على المجال الثقافي والفكري والعمل على ترسيخ مقومات الأمة الجزائرية وإثماً تعدّت وجوه الصّدّ إلى المستوى العملي الميداني، فقد وقفت العديد من زوايا العلم في الجزائر في وجه الاستعمار والاحتلال وقدمت الكثير من الشهداء منذ أن وطأ المحتل تراب هذا الوطن الحبيب، فقد استهدف الاحتلال الفرنسي خيرات الوطن كونه كان يسعى للاستيطان، وأول ما قام به بعد احتلال الأراضي هو الاستيلاء على الخزينة العامة للجزائر، وكانت تضم العديد من الثروات، كما قام بالاستيلاء على نظام الأوقاف وخيراتهما وهذا ما جرّد المساجد والزوايا والكتاتيب من ممولّها الأول الذي كان يمدّها بالأموال من أجل إطعام الفقراء والمحتاجين وإيواء طلبة العلم ودفع أجور

المشايع⁽⁵⁷⁾ وقد لعبت الزاوية في الريف دورا أكثر إيجابية من الزاوية في المدينة... وكانت الزوايا عبارة عن رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء، فكان المرابطون يقدون أتباعهم في الحروب الجهادية وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع الأمراء المكافحين من أجل الدين وحماية البلاد، وعلى هذا النحو تحالف بعضهم مع العثمانيين وقدموا لهم المساعدات الأساسية فجنّدوا من ورائهم الشعب وجمعوا المؤن والمعدات ورفعوا الروح المعنوية للمحاربين⁽⁵⁸⁾.

في القرن 19م كان شيخ الطريقة القادرية في الجزائر التي كانت سبّاقة في محاربة الاستعمار؛ الحاج محي الدين والد الأمير عبد القادر وقد استلم المشعل من بعده... وكان خوف الفرنسيين يرجع إلى أنّ القادرية كانت جسرا للدعاية العثمانية وحركة الجامعة الإسلامية، وهم يعتبرونها معادية للمسيحية، سيما وأنّ الذين ينشطونها هم من أسرة الأمير عبد القادر... كما كان انضمام الشيخ عبد العزيز (شيخ زاوية عميش القادرية) إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1937 وفتح مدرسة باسمها ودعوته أعضائها لزيارة المنطقة ضوء أحمر أعلنت من خلاله السلطات الفرنسية حالة الطوارئ في المنطقة واتّهمت الشيخ عبد العزيز بالجنون واعتقلته وزملائه والذين منهم المعلمين المصلحين عبد القادر الياحوري وعلي بن سعد في سجن الكدية بقسنطينة، واتّهمتم بالإعداد لثورة والتواطؤ مع جهات أجنبية (إيطاليا وألمانيا)⁽⁵⁹⁾، وعلى نهجها سارت الرحمانية ففي عام 1259هـ/1844م تولّى شؤون الزاوية الحاج عمر الذي قام بدور كبير في مقاومة زواوة عام 1857م وهدّمت الزاوية في عهده على يد الجنرال "ديفو" واضطر الحاج إلى الهجرة إلى تونس وبعدها إلى الحجاز⁽⁶⁰⁾.

هذه بعض النماذج من زوايا العلم التي وقفت في وجه الاستعمار، وشهد لها التاريخ ثباتها وعهدها مع الأمة الجزائرية في المحافظة على هويتها وتميّز شخصيتها، فمثّلت بذلك حصنا منيعا أمام التغريب والإدماج التي جاءت فرنسا من أجل تحقيقه ورجعت بحمد الله تعالى تجر أذيال الهزيمة ولم تحظ منه على مرادها.

خاتمة:

لقد كانت المؤسسة الدينية الوقفية تمثل صرحا حضاريا استطاعت الأمة من خلاله أن تفرض وجودها وأن تستمر بالحضور والتواجد وإن بمستويات مختلفة عبر تاريخها، وهذا الأمر يعني أن تواجد المؤسسة الدينية الوقفية كان حيويا بالنسبة لحياة الناس، الذين كانوا يتزودون من خلالها وعبرها بما يحتاجونها من مصالح ومنافع، فقد مثلت بحق مؤسسات خدمية بالمعنى الواسع ماديا ومعنويا، ومن أمثلة هذه المؤسسات التي برز نشاطها ودورها الفعال نجد زوايا العلم، التي وكما شرحنا في ثانيا هذا المقال متواجدة في العديد من المجالات الحيوية التي يحتاجها الفرد والمجتمع، ففي العلم كانت الزوايا حاضرة وبكل قوة، وفي المحافظة على هوية الأمة ومقوماتها من اللغة والدين كانت الزوايا مقدّمة للعديد من الجهود وعبر الكثير من الإنجازات، وفي حماية بيضة المسلمين وثغورهم قدّمت الزوايا الشهداء والأبطال، وفي تعليم الأمة تخرّج من زواياها علماء ومصلحون كانوا بلسما ودواء من داء الجهل والانبطاح، وفي السماع للانشغالات الناس وحاجتهم كانت الزوايا أقرب الأذان في الاستماع والمساعدة، إلخ...

بمثل ماضيها المشرق لا بد أن تواصل زوايا العلم مسيرها نحو حماية الأمة والعمل على رقيّها، ومن أجل القيام بمهامها الموهّبة لا بد أن تكون الزوايا مؤسسة حضارية بمعنى الكلمة تقدم ما ينتظره واقع الأمة المؤلم من انبلاج نور العلم والإيمان على الإنسانية عامّة وعلى الشعوب الإسلامية خاصة، وعلى القائمين على شؤون الناس أن يساهموا في رجوع صرح المؤسسة الدينية الوقفية والتي منها الزوايا إلى سابق عهدها في العطاء والبذل من أجل غد مشرق بإذن الله تعالى.

يمكننا من خلال هذا المقال تعديد النتائج التي يمكن الإشارة إليها إلى مايلي:

1. المؤسسة الدينية الوقفية مؤسسة اجتماعية عريقة في الحضور، وجدت وبدأ عطاؤها منذ تشريع الإسلام لها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم.
2. ساهمت المؤسسة الدينية الوقفية من خلال مختلف أشكالها في التطور الحضاري الذي شهدته المجتمعات الإسلامية وعلى جميع الأصعدة الحياتية، الاقتصادية والاجتماعية و الثقافية والتعليمية... إلخ .
3. قامت زوايا العلم بالدور الحضاري الذي وجدت له منذ أن كانت في بدايتها أربطة وخلوات إلى أن أصبحت محاضن للعلم ونشر المعرفة، بالإضافة إلى الدور الاجتماعي.
4. تعتبر الزوايا من أهم تجليات ومخرجات المؤسسة الدينية الوقفية، التي كان لها الأثر الفعال في تطوير المجتمعات الإسلامية عبر العصور.

الهوامش

- (1) أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحدّاد، الوقف الثقافي والعلمي أهميته وأنواعه، ندوة الوقف الإسلامي، كلية الشريعة والقانون - جامعة الإمارات العربية المتحدة، 6-7 ديسمبر 1997، ص29.
- (2) محمد مصطفى شليبي، أحكام الوصايا والأوقاف، ط[3]، مصر، مطبعة دار التأليف، 1386 هـ - 1967م، ص 322 - 326.
- (3) ورد الحديث بعبارة [إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا]، انظر: صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (256هـ)، ط[2]، كتاب الشروط، رقم: 2737 و 2772، الرياض-دمشق، مكتبة دار السلام-دار الفحاء، 1419 هـ - 1999م. البخاري، / صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (261هـ)، كتاب الوصية، رقم: 1632، الرياض - دمشق، مكتبة دار السلام - دار الفحاء، 1419 هـ - 1998م.
- (4) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي، المنتقى شرح موطأ مالك، ط[1]، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، بيروت - لبنان، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية، 1420 هـ - 1999م، 30/8.
- (5) الآية 77: سورة الحج.
- (6) البخاري، مرجع سابق، كتاب الجهاد و السيّر، رقم: 2853.
- (7) الصادق عبد الرحمان الغرياني، مدونة الفقه المالكي وأدلته، ط[1]، بيروت - لبنان، مؤسّسة الريان، 1423 هـ / 2002م، 4 / 210.
- (8) من الآية 92: سورة آل عمران.
- (9) المنوفي: بن شهاب الدين الرملي، نهاية المحتاج في شرح المنهاج، ط[1]، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1412 هـ - 1992م، 5 / 358 - 359.
- (10) ابن قدامة، المغني، تحقيق: محمد شرف الدين خطاب - السيد محمد السيد - أ. سيد إبراهيم صادق، ط[1]، القاهرة - مصر، دار الحديث، 1416 هـ / 1996م، 7 / 559.
- (11) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، ط[1]، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 1415 هـ - 1995م، 6 / 25.
- (12) علي حيدر، ترتيب الصنوف في أحكام الوقوف، ترجمة: أكرم عبد الجبار - محمد أحمد العمر، بغداد - العراق، مطبعة بغداد، 1950 م، ص 08.
- (13) عزة مختار إبراهيم عبد الرحمان البناء، الوقف ودوره في مكافحة الفقر، المؤتمر الثالث للأوقاف - اقتصاد، إدارة وبناء حضارة - المملكة العربية السعودية، 1430 هـ / 2009م، 2 / 666.
- (14) أنظر: سورة البقرة الآية 177/ سورة الماعون.
- (15) مسلم، كتاب اللقطة باب استحباب الموساة بفضول المال، رقم 1728.
- (16) كرم حلمي فرحات أحمد، دور الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي في الحضارة الإسلامية، المؤتمر الثالث للأوقاف - اقتصاد، إدارة وبناء حضارة - المملكة العربية السعودية، 1430 هـ / 2009م، 2 / 301-300.
- (17) أنظر: سورة المائدة الآية 02/ سورة الزخرف الآية 32.
- (18) أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحدّاد، الوقف الثقافي والعلمي أهميته وأنواعه، ندوة الوقف الإسلامي، كلية الشريعة والقانون - جامعة الإمارات العربية المتحدة، 6-7 ديسمبر 1997، ص32.
- (19) كرم حلمي فرحات أحمد، نفس المرجع، ص 306.
- (20) سعد الدين السيد صالح، الوقف وأثره في الناحية الاجتماعية والفكرية، ندوة الوقف الإسلامي، كلية الشريعة والقانون - جامعة الإمارات العربية المتحدة، 6-7 ديسمبر 1997، ص07.

- (21) عطية عبد الحليم صقر، اقتصاديات الوقف – ندوة : نحو إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية، رابطة الجامعات الإسلامية/، 7-9 ماي 1998، ص 42-52 بتصرف.
- (22) نعمت عبد اللطيف مشهور، الوقف الخيري ودوره في تغطية أوجه الإنفاق العام الخدمي في الدول الإسلامية والغربية، المؤتمر الثالث للأوقاف – اقتصاد، إدارة وبناء حضارة – المملكة العربية السعودية، 1430 هـ / 2009م، ص 738.
- (23) مصطفى محمد عرجاوي، الوقف وأثره من الناحيتين الاجتماعية والثقافية، ندوة الوقف الإسلامي، كلية الشريعة والقانون – جامعة الإمارات العربية المتحدة، 6-7 ديسمبر 1997، ص 04-05.
- (24) محمد بن زين العابدين رستم، مشاركة أهل الغرب الإسلامي في الوقف على الحرمين الشريفين، الوقف وتجديد الحضارة الإسلامية، ج1، المؤتمر الثالث للأوقاف – السعودية – 1430 هـ / 2009م، ص 749.
- (25) نعمت عبد اللطيف مشهور، مرجع سابق، ص 741-747 بتصرف.
- (26) محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، د ر ط، دار الفكر، الجزائر، د ت ن، ص 46.
- (27) أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، مرجع سابق، ص 26.
- (28) سعد الدين السيد صالح، مرجع سابق، ص 10 – 11.
- (29) أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحداد، مرجع سابق، ص 28.
- (30) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1998، ج1، ص 279-280.
- (31) أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، 272/1.
- (32) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، 296/1-302.
- (33) أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، 231/1.
- (34) محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسني، رسالة الزوايا والحياة الروحية – نظرة مستقبلية، رسالة المسجد، ع: 02، السنة: 08، 1431 هـ/ 2010م وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ص 36-37.
- (35) عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، د ر ط، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران – الجزائر، د ت ن، ص 13.
- (36) محمد نسيب، مرجع سابق، ص 27.
- (37) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، 171/3.
- (38) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، 110/5.
- (39) محمد نسيب، مرجع سابق، ص 30-31.
- (40) كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف – تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ص 159.
- (41) عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص 14-17.
- (42) نذير حمادو، دور الزوايا في بناء الشخصية الروحية والوطنية، رسالة المسجد، ع: 02، السنة: 08، 1431 هـ/ 2010م وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ص 80.
- (43) محمد نسيب، مرجع سابق، ص 103 – 119 بتصرف.
- (44) محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص 40.
- (45) محمد نسيب، مرجع سابق، ص 78.
- (46) محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص 41.
- (47) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، 182/ 3.
- (48) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، 269/ 1.
- (49) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، 176/3-177.
- (50) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، 361/5.
- (51) محمد نسيب، مرجع سابق، ص 49-50.
- (52) نذير حمادو، مرجع سابق، ص 83.

- (53) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، 1/ 270
 (54) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، 3/ 173
 (55) أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، 3/ 169.
 (56) عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص 37-38 بتصرف.
 (57) عبد العزيز شهبي، المرجع نفسه، ص 40-44 بتصرف.
 (58) كمال غربي، مرجع سابق، ص 161-162.
 (59) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، 1/ 267
 (60) عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص 102-103-106.
 (61) عبد العزيز شهبي، نفس المرجع، ص 127.

قائمة المراجع:

1 - الكتب:

- ابن قدامة، المغني، تحقيق: محمد شرف الدين خطاب - السيد محمد السيد - أ. سيد إبراهيم صادق، القاهرة، دار الحديث، 1416 هـ / 1996 م.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1-3-5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي، المنتقى شرح موطأ مالك، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، بيروت، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية، 1420 هـ - 1999 م.
- البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (256 هـ)، صحيح البخاري، ط [2]، الرياض - دمشق، مكتبة دار السلام - دار الفحاء، 1419 هـ - 1999 م.
- الصادق عبد الرحمان الغرياني، مدونة الفقه المالكي وأدلته، بيروت، مؤسنة الريان، 1423 هـ / 2002 م.
- عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، د ر ط، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د ت).
- علي حيدر، ترتيب الصنوف في أحكام الوقوف، ترجمة: أكرم عبد الجبار - محمد أحمد العمر، بغداد، مطبعة بغداد، 1950 م.
- محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415 هـ - 1995 م.
- محمد مصطفى شلبي، أحكام الوصايا والأوقاف، ط [3]، مصر، مطبعة دار التأليف، 1386 هـ - 1967 م.
- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، (د ر ط)، دار الفكر، الجزائر، (د ت).
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (261 هـ)، صحيح مسلم، الرياض - دمشق، مكتبة دار السلام - دار الفحاء، 1419 هـ - 1998 م.
- المنوفي، بن شهاب الدين الرملي، نهاية المحتاج في شرح المنهاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1412 هـ - 1992 م.

2 - المجلات والدوريات:

- كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.

- محمد المأمون مصطفى القاسمي الحسني، رسالة الزوايا والحياة الروحية – نظرة مستقبلية، رسالة المسجد - وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ع:02، السنة:08، 1431هـ/2010م.
- نذير حمادو، دور الزوايا في بناء الشخصية الروحية والوطنية، رسالة المسجد - وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ع:02، السنة:08، 1431هـ/2010م.

3- الندوات والمؤتمرات:

- أحمد بن عبد العزيز بن قاسم الحدّاد، الوقف الثقافي والعلمي أهميته وأنواعه، ندوة الوقف الإسلامي، كلية الشريعة والقانون – جامعة الإمارات العربية المتحدة، 6-7 ديسمبر 1997.
- سعد الدين السيد صالح، الوقف وأثره في الناحية الاجتماعية والفكرية، ندوة الوقف الإسلامي، كلية الشريعة والقانون – جامعة الإمارات العربية المتحدة، 6-7 ديسمبر 1997.
- عزة مختار إبراهيم عبد الرحمان البناء، الوقف ودوره في مكافحة الفقر، المؤتمر الثالث للأوقاف – اقتصاد، إدارة وبناء حضارة – المملكة العربية السعودية، 1430هـ / 2009م.
- عطية عبد الحليم صقر، اقتصاديات الوقف – ندوة : نحو إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية، رابطة الجامعات الإسلامية، 7-9 ماي 1998.
- كرم حلمي فرحات أحمد، دور الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي في الحضارة الإسلامية، المؤتمر الثالث للأوقاف – اقتصاد، إدارة وبناء حضارة – المملكة العربية السعودية، 1430هـ / 2009م.
- محمد بن زين العابدين رستم، مشاركة أهل الغرب الإسلامي في الوقف على الحرمين الشريفين ، الوقف وتجديد الحضارة الإسلامية، ج1، المؤتمر الثالث للأوقاف – السعودية – 1430هـ / 2009م.
- مصطفى محمد عرجاوي، الوقف وأثره من الناحيتين الاجتماعية والثقافية، ندوة الوقف الإسلامي، كلية الشريعة والقانون – جامعة الإمارات العربية المتحدة، 6-7 ديسمبر 1997.
- نعمت عبد اللطيف مشهور، الوقف الخيري ودوره في تغطية أوجه الإنفاق العام الخدمي في الدول الإسلامية والغربية، المؤتمر الثالث للأوقاف -اقتصاد، إدارة وبناء حضارة – المملكة العربية السعودية، 1430هـ / 2009م.